مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٤: ٢٢–٢٧)

يا إخوةُ إنَّه كان لإبرهيمَ ابنانِ أحدُهما من الجاريةِ والآخرُ من الحرَّة* غير أنَّ الذي من الجاريةِ وُلِد بحسَبِ الجسَدِ أمَّا الذي من الحرَّة فبالموعِد* وذلك إنَّما هو رمزٌ. لأنَ هاتين هما العهدانِ أحدُهما من طورِ سيناءَ يَلِدُ للعبوديَّةِ وهو هاجَر* فإنَّ هاجَرَ بل طورَ سيناءَ جبلٌ في ديارِ العربِ ويُناسبُ أورشليمَ الحاليَّة. لأنَّ هذه حاصِلةٌ في العبوديَّةِ معَ أولادها* أمَّا أورشليمُ العُليا فهي حُرَّةٌ وهي أمُّنا كلِّنا* لأنَّه كُتِبَ إفرحي أيَّتُها العاقِرُ التي لم تلِد. إهتِفي واصرُخي أيَّتها التي لم تتمخَّضْ. لأنَ أولادَ المهجورةِ أكثرُ من أولادِ ذاتِ الرجل.

الحبل بوالدة الإله

تعيِّد الكنيسة المقدسة في التاسع من كانون الأول لتذكار حبل القديسة حنّة بوالدة الإله مريم. ويأتي هذا العيد في إطار الأعياد المرتبطة بالتجسد الإلهي والمهيئة له، إذ ان الحبل بالعذراء هو مقدمة لبدء تحقيق خلاص البشر. ولا بد من التذكير ان الكنيسة رتبت الأعياد لكي تحيا الخلاص الذي قام به ربنا لأجلنا، مع المحافظة على التدرّج التاريخي الزمني لهذه الأحداث الخلاصيّة. مهمة التذكارات والأعياد أن نحيا هنا والآن الأحداث الخلاصية فننال نِعَم هذا العمل الإلهي. لذا فإن السنة الطقسية (التي تبتدئ في الأول من أيلول) أدرجت أعياد ميلاد السيدة (٨ أيلول) ودخول السيدة إلى الهيكل (٢١ تشرين الثاني) وحبل القديسة حنّة (٩ كانون الأول) في إطار التهيئة لميلاد الرب بالجسد (٢٥ كانون الأول) والعيش الحقيقي للخلاص الإلهي.

العدد ٢٠١٢/٥٠

الأحد ٩ كانون الأول

تذكار حبل القديسة حنة

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الخامس

إنّ حبل والدة الإله بالرب يسوع، عيد البشارة، هو بداية الخلاص البشري الذي حصل بصيرورة الإله إنساناً لذا ترتّل الكنيسة في هذا العيد «اليوم رأس خلاصنا». أما العيد الحاضر، الحبل بوالدة الإله، فهو بداية المسيرة نحو التجسّد. عندما أراد الله أن يرسل ابنه الوحيد إلى العالم، كان عليه أن يختار امرأةً ليسكن أحشاءها. هذه الفتاة المنتقاة يُحبل بها اليوم. هذا الحبل غريبٌ، لأنه من عاقرٍ وشيخ. ونحن نعلم ان ولادةً كهذه غير واردة في المنطق البشري الطبيعي، إلاّ أنّ ما هو غير مستطاع عند البشر مستطاعٌ عند الله. الفتاة التي سوف تعيش في قدس الأقداس لتُصان بريئةً من العيب يُحبل بها اليوم.

في هذا العيد أيضاً بدءٌ لتحقيق العديد من نبوءات الأنبياء. هناك رموزٌ كثيرةٌ للعذراء في العهد القديم. يشير كاتب ترانيم هذا العيد إلى هذه الصور في إحدى القطع التي ترتّل في صلاة الغروب: «إنّ أقوال الأنبياء السابقة قد تمّت،

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠-١٧)

في ذلك الزمان كان يسوعُ يعلّمُ في أحدِ المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا بامرأةٍ بها روحُ مرضٍ منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً وكانت منحنيةً لا تستطيعُ أن تنتصِبَ البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ دعاها وقال لها إنَّكِ مُطلَقةٌ من مرضِكِ* ووضع يديهِ عليها وفي الحال استقامَتْ ومجَّدَتِ اللهَ* فأجابَ رئيسُ المجمعِ وهو مُغتاظٌ لإبراءِ يسوعَ في السبتِ وقال للجمعِ هي ستَّةُ أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها. ففيها تأتون وتَسْتَشْفون لا في يوم السبتِ* فأجابَ الربُّ وقال يا مُرائي أليسَ كلُّ واحدٍ منكم يحُلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ في السبتِ من المذوَدِ وينطلِقُ فيسقيه* وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ التي ربَطَها الشيطانُ منذ ثماني عَشرةَ سنةً أمَا كان ينبغي أن تُطلَقَ من هذا الرباطِ يومَ السبتِ* ولمَّا قال هذا خَزِيَ كلُّ مَن كان يُقاومهُ وفرحَ الجمعُ بجميعِ الأمورِ المجيدةِ التي كانت تصدرُ منه.

لأنّ الجبل المقدّس يستقرّ في الأحضان، والسلّم الإلهية تنتصب، والعرش العظيم للملك يُهيّأ، ومكان اجتياز الإله يُعدّ، والعلّيقة غير المحترقة قد أخذت في الإفراع، وخزانة طيب التقديس تفيض الآن أنهاراً».

في هذا العيد ينبغي أن نذكّر أن الكنيسة الشرقيّة لم تضع عقائد حول والدة الإله كما فعلت الكنيسة الغربيّة. فالرسل نقلوا لنا بشكل مباشر أو من خلال تلاميذهم ما خبروه وسمعوه في حياتهم مع السيد على الأرض. أمّا في ما خصّ العذراء فليس هناك من ذكرٍ وافرٍ في الكتب المعتمدة في الكنيسة عن حياتها، وينحصر الحديث عن حياتها، في الكتب المنحولة. لا نتكلّم هنا عن نظريّاتٍ حديثة بل عن تقليدٍ تناقلته الكنيسة على مرّ العصور وتسلّمته من جيل إلى جيل. النصوص الليتورجيّة تدحض كلّ تعليمٍ خاطئ دخل في القرون الماضية القريبة، حول طريقة الحبل بالعذراء. في قطع الغروب يقول المرنّم كاتب التسابيح «لأنّك ستصيرين زيتونةً حسنة الثمر» (القطعة الأولى من أبوستيخن صلاة الغروب) ثمّ «إنّ الزوجين الشريفين قد أثمرا» (القطعة الثانية). لا يقول المرنّم الملهَم من الله أنّها صارت زيتونةً مثمرة بمعنى أنّها حبلت بطريقةٍ عجيبة عند سماعها صوت الملاك بل قال «ستصيرين». كما أنّه يوضح أنّ الزوجين أثمرا معاً وليس واحدٌ منهما أثمر. في هذا أعلانٌ للإيمان المسيحي الأصيل كون هذه القطع تتلى في الكنيسة منذ قرونٍ طوال.

يندرج العيد الحاضر في سياق الأعياد التي تسبق الميلاد كما سبق فأشرنا. وقد اختار الآباء التعابير التي تعبّر عن احتفالهم بهذه الذكرى وبها يعبّرون عن إيمانهم القويم.

على المؤمن الذي يريد اتّباع الإيمان القويم أن يتعلّم من الحكمة التي تتضمنها ليتورجيّة الكنيسة. أمّا المسيحي المشكّك أو المتردّد في سلوك طريق الإيمان فعليه أن يتّعظ من قول الرسول بولس حول كيفيّة الخلاص. فإنّ التعاليم الخاطئة والمعتقدات المضلّلة كما العيش بعيداً عن الله إنّما هي وقوعٌ في شباك الشيطان. علينا أن نسلك طريق الله القويم بحسب ما يدعونا الرسول «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقتدروا ضدّ مكايد إبليس» (أف ٦: ١١). ويوضح الرسول للمؤمن بأنّه في سلوكه هذا الطريق سوف يواجه مصاعب كثيرة إذ لن يصطدم ببشرٍ فقط بل مع قوى الشرّ المضلّة. أما هذه المعركة فتُخاض «حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام» (أف ٦: ١٥)، أي ينبغي أن يكون الإنسان داعياً للسلام وخطاه قويمة مثبّتة بتعاليم الإنجيل، فيكون الإيمان ترساً يحمي المؤمنين من التعاليم

تأمل

أيا يواكيم وحنّة الزوجان المغبوطان! كلّ الخليقة مدينة لكما؛ فبكما قُدّمت إلى الخالق عطيّة كل العطايا والأكثر سموًّا، أماً مكرَّمةً هي وحدها أهل لذاك الذي خلقها! مغبوط حقاً يواكيم الذي منه برزت نطفةٌ لا دنس فيها بالكليّة، وعجيب حشا حنّة الذي بفضله نمت ببطء وفيه تكوّنت ومنه ولدت طفلة كلية القداسة! يا للأحشاء التي حملت سماءً حيّة أرحب من ضخامة السموات! يا للبيدر الذي تكوّمت فيه الحنطة المحيية حسبما صرّح المسيح نفسه قائلاً: «إن لم تقع حبّة الحنطة في الأرض وتمُتْ، فهي تبقى وحدها. يا للصدر الذي أرضع تلك التي غذّت مغذّي العالم! إنها لعجيبة العجائب، وتناقض التناقضات! أجل، كان ينبغي لتجسّد الله الذي لا يفسَّر، في غمرة تنازله، أن تسبقه هذه العجائب. ولكن، كيف المتابعة؟ ففكري هو خارج ذاته، وأنا يتنازعني الخوف والحب. قلبي يخفق ولساني يرتعش: إنّي لا أستطيع احتمال الفرح. العجائب تغمرني والحميّة الهائمة تأسرني بفورة إلهية.

المضلّة وصعوبات التجارب. سالكين هذا الطريق وحافظين هذا الإيمان نصل إلى اليوم المجيد ويكون لنا حظ العذارى الحكيمات اللواتي كنّ يقظاتٍ وحافظن على مصابيحهنّ مضاءةً في انتظار السيّد.

المرأة المنحنية

يرى أبونا القديس أمبروسيوس أسقف ميلان، في مَثَل التينة غير المثمرة الذي يسبق مباشرة النص الشريف المتلو علينا في هذا اليوم، إعلاناً بلسان الرب يسوع نفسه عن عُقم أمة اليهود التي لم تأتِ بأي ثمر، على الرغم من افتقادات الله الكثيرة لها. «هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد» (لو ١٣: ٧). التينة كانت في الشكل بالغة النمو متعافية، وإلا لما أتى سيد السماء والأرض يطلب فيها ثمراً. ولكنها اتضحت في الحقيقة عقيمة لا تثمر. أمة اليهود أيضاً كانت في الشكل بالغة (مرموز إليها بالمجمع ورئيسه)، ولما حان أوان إثمارها، لم يجد الله فيها ثمراً. «هي ستة أيام ينبغي فيها العمل، ففي هذه إئتوا واستشفوا. وليس في يوم السبت»، قال رئيس المجمع «مغتاظاً».

بالرغم من إعلانه المسبق عن عقمهم، نرى يسوع هنا في مجمع اليهود واقفاً يعلّمهم. لم يرد أن يقطع هو الرباط مع الذين أتى ليخلّصهم، والذين سوف يصلبونه، لكن هم الذين انفصلوا عن الله بل وتنكّروا له. مَن يتأمّل في نفسه وفي محيطه، اليوم، يرى كم أن هذه اليهودية ما زالت فينا.

للإشارة إلى حالة المرأة المنحنية يستعمل الإنجيلي عبارة «بها روح مرض»، ورمزية العبارة أبعد من مجرّد توصيف للمرض، وبمعزل عن تصنيفه الطبي. الإنسان متى تحكّمت فيه روح الخطيئة يصبح مريضاً، معوّقاً، منحنيًّا، نظره إلى الأرض لا إلى السماء. «لأن العدو قد اضطهد نفسي وأذل إلى الأرض حياتي» (مزمور ١٤٣: ٣)، يقول كاتب المزامير.

لا يقول النص هنا إن المرأة هذه أتت خصيصاً للقاء الرب يسوع، بل لعلّها أتت المجمع لإتمام فريضة السبت. في النص إن يسوع هو الذي رآها ثم دعاها إليه. «المسيح معك ومن حولك أينما كنت ومهما كانت حالك. كل ما عليك هو أن تعي سقمك وأن تعي أن لا خلاص لك إلا بالله، والمسيح إذ ذاك ينتشلك ويشفيك»، يقول القديس أثناسيوس الإسكندري. حنان الرب في أنه رآها ودعاها، وسلطانه الإلهي في أنه بكلمة جازمة شفاها: «أنت مطلقة من مرضك». ثم وضع عليها يديه «**وفي الحال** استقامت ومجّدت الله». غالباً ما نرى الرب يسوع يلمس ليشفي. ذلك لا لأنه هو المحتاج للمس ليشفي، بل لنتعلّم نحن كم إننا محتاجون لهذا التّماس العضوي معه، والمتحقق الآن وحتى

فليتغلّب الحب، وليُخلِ الخوفُ المكان، ولتنشدَ قيثارة الروح: «لتفرح السموات، وتبتهج الأرض!».

أيا يواكيم وحنّة، إنّكما لزوجان مغبوطان وبلا عيب حقًّا! فمن ثمر حشاكما عُرفتما حسب كلمة الرب «من ثمارهم تعرفونهم»، وسلوككما كان مقبولاً لدى الله وأهلاً لتلك التي ولدت منكما. وكونكما عشتما عيشة عفيفة ومقدسة، فقد أنتجتما حلية البتوليّة، تلك التي ستلبث عذراء قبل الولادة، وعذراء في الولادة، وعذراء بعد الولادة، التي هي وحدها دائمة البتولية بالفكر والنفس والجسد. وكان يليق في الواقع بالبتوليّة الصادرة من العفّة أن تنجب النور الوحيد جسديًّا، بعطف ذاك الذي ولده بدون جسد – فهو الكائن الذي لا يلد. المسيح هو المولود وميزته الأقنوميّة الوحيدة هي في أن يكون مولوداً. آه! كم من العجائب وأيّة تحالفات في هذه الطفلة الصغيرة! فهي ابنة العقر والبتوليّة التي لا تلد، بها ستتّحد الألوهيّة والإنسانيّة.

القديس يوحنا الدمشقي

انقضاء الدهر في الإفخارستيا. أكثر من ذلك، عبر هذه الحادثة بالذات يعلّمنا الإنجيل الشريف إن لمس بشرية يسوع الطاهرة لبشريتنا المريضة، المنحنية إلى أسفل، هي التي شفتها، حررتها من ثقل جاذبية الأرضيات ومكّنتها من جديد من أن تتطلّع إلى فوق. عن هذا يرى أيضاً القديس أمبروسيوس في هذه الإمراة صورة للكنيسة التي بعدما حفظت بأمانة حدود الشريعة، نالت من المسيح نعمته الإلهية. وبهذه النعمة شُفيت من أمراض الطبيعة البشرية وضعفاتها وصارت، وإن كانت بعد على هذه الأرض، ممتدة إلى السماء.

أما رئيس المجمع... هذا الكبير في قومه، المعلّم لشرع الله، الحافظ الناموس بحرفيّته، فتبيّن أنّه لم يحفظ من شرع الله، إلا حرفيّته. تماماً كالتينة التي نمت نمواً سليماً وبلغت، ولما حان أوان قطافها، استبانت عقيمة لا ثمر فيها البتة. غاظه أن الرب شفى إمرأة، يوم السبت، مما كانت تقاسيه سنين طويلة. لأنه، على قدر ما فهم من وصايا الله، العمل يوم السبت حرام! يقول أبونا القديس كيرلس الإسكندري إن السبب الحقيقي لغيظ ذاك المرائي ما كانت الغيرة على إتمام وصايا الله بل الحسد والتعنّت. لم يقم أحد من الأنبياء بآية إلا بقوّة الله، أما يسوع فبكلمته الجازمة وبسلطانه الذاتي أعتق هذه المسكينة من ثقل مرضها الطويل. لقد وضعت آية الشفاء هذه ذاك المرائي بمواجهة سوء فهمه لوصايا الله، لكن تعنّته منعه من أن يتوب عن ضلاله ويمجّد الله فاغتاظ وعنّف الناس على «عدم إكرامهم للسبت»، ولعلّه كان يقصد تعنيف يسوع، ولكنه لم يجرؤ. غالباً ما يضعنا الله بمواجهة سوء فهمنا لهذه أو تلك من وصاياه، عبر ظرف ما من ظروف حياتنا اليومية، وهذا من فيض محبته وغيرته على خلاصنا. هل نتوب إليه شاكرين ممجّدين؟

دورة تدريبيّة

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، وتحت شعار «كلمتُك مَمَحّصةٌ جداً وعبدك أحبّها» (مز ١١٩: ١٤٠)، أقام فوج رعية بشارة السيدة في كشاف بيروت الأرثوذكسي دورة تدريبية للمسؤولين فيه حول النشاط الكشفي، على مدى يومين، في مركز للمخيمات والرياضات الروحية في منطقة أميون. ألقت الدورة أضواءً على طبيعة الكتاب المقدس وتقاسيمه وتاريخ كتابته، وناقش المجتمعون أهمية دراسة الكتاب وتأثيره في حياة المؤمنين وضرورة شرح مضامينه لأولاد الرعية بطريقة تحاكي عصرهم والصعوبات التي يواجهونها.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb